مصادر الاحتجاج عند الفراء في كتابه معاني القرآن

إعداد

الباحثة/ إسراء محمد سيد حسين

باحثة ماجستير تخصص/ النحو والصرف

كلية الآداب- جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام : ١٢ / ١٠/ ٢٠٢٢م

تاريخ القبول : ١٩/ ١٠/ ٢٠٢٢م

ملخص:

هذا البحث اتتبع فيه واحد من الكتب التي دارت في مادتها حول النحو العربي وقضاياه في غلاف من التفسير لكتاب الله الكريم ألا وهو معاني القرآن للفراء.

ودفعني إلى خوض هذا البحث أسباب منها الشخصي متمثلًا في رغبة العمل على موضوع يربط بين مجال معاني وتفسير القرآن مع مجال اللغة والنحو العربي؛ ومنها العملي متمثلًا في اقتصار معظم الدراسات التي دارت حول هذا الكتاب على مصدر واحد من مصادر الاحتجاج فعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت كتاب معاني القرآن وكذلك التي دارت حول الفراء، إلا أنها لم تجمع المصادر المحتج بها عند الفراء في دراسة جامعة.

اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، لتحليل المسائل النحوية، إضافة إلى المناهج المختلفة، وتتبع هذه المسائل في كتب النحو المختلفة، كذلك تتبع مصادر الاحتجاج عند الفراء في معانيه.

الكلمات المفتاحية: الاحتجاج، مصادر، معايير، القرآن الكريم، الحديث النبوي، الشعر العربي، السماع، القياس، الإجماع.

Abstract:

This research follows one of the books that dealt with Arabic grammar and its issues within the framework of interpreting the Holy Quran, namely "Ma'ani Al-Quran" by Al-Farra.

I was motivated to undertake this research for both personal and practical reasons. The personal reason was my desire to work on a topic that connects the field of Quranic meanings and interpretation with Arabic language and grammar. The practical reason was that most studies about this book were limited to a single source of argumentation. Despite the numerous studies that addressed "Ma'ani Al-Quran" and Al-Farra himself, none compiled all the sources of argumentation used by Al-Farra in a comprehensive study.

In this research, I adopted the descriptive-analytical methodology to analyze grammatical issues, along with various other approaches, tracking these issues in different grammar books, as well as tracking Al-Farra's sources of argumentation in his work.

Keywords: Argumentation (Al-Ihtijaj), Sources, Standards/Criteria,The Holy Quran, Prophetic Hadith, Arabic Poetry, Al-Sama' (Listening/Oral, ransmission), Al-Qiyas (Analogy), Al-Ijma' (Consensus).

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام أما بعد:

فإن البحث في علوم العربية قد بدا وثيق الصلة بدراسة القرآن الكريم، ونشأت أغلب الدراسات اللغوية عند العرب لخدمة الدين الإسلامي وتفسير آيات القرآن الكريم.

ونحاول في هذا البحث استخراج المصادر التي اعتمد عليها الفراء في معانيه، والتي كان لها الأثر الأكبر في كثير من القضايا النحوية، عند استشهاده بها فنراه يقول: والقرآء على أنها بالرفع، وقد يعتمد على اعراب البادية فيقول: وأنشدني المفضل الضبي وغيره، كما أنه يذكر لغات العرب فيقول: والعرب على الحذف.

ويتفرد الفراء من علماء المدرستين بأسلوب مختلف في الاحتجاج وهذا ما نحاول توضيحه في الدراسة مع تتبع شواهده على اختلافها.

وسيكون الحديث هنا وفق التقسيم الآتي:

التمهيد: نبذة عن بدايات البحث والتقعيد اللغوي عند العرب.

المبحث الأول: الاحتجاج عند الكوفيين وترجمة مختصرة للفراء.

المبحث الثاني: معايير احتجاج الفراء بمصادر الاحتجاج.

التمهيد: بدايات البحث اللغوي عند العرب:

يمكننا القول أن بدايات البحث اللغوي كانت غامضة وغير واضحة، فلا ندري على وجه التحديد متي بدأ التقعيد والتأليف في اللغة العربية، ولكن المعروف أن العربية ارتقت في أواخر العصر الجاهلي وتطورت جميع لهجاتها ونشأت اللهجة أدبية راقية من جميع اللهجات، وصارت هي اللغة الفصحى، وما عداها غير فصيح.

وقد بدأ تاريخ التقعيد للغة العربية مرتبطًا بالقرآن الكريم، ونشأت أغلب الدراسات اللغوية عند العرب لخدمة الدين الإسلامي، وتفسير آيات الذكر الحكيم.

ولعل اللغة العربية قد تأثرت بالقرآن الكريم من طرق مختلفة " طريق مباشر، وهو ما في القرآن من جديد في اللفظ والمعنى، والغرض والأسلوب طريق غير مباشر، وذلك تمكينه العرب أن يختلطوا بغيرهم من الأمم ذوات الحضارة الرائعة؛ ووضعه أنظار العربية المدنيَّة الفارسيَّة والرومية والمصرية. " (١)

وقد أيقن العلماء في العصور الأولى من الإسلام – الصدر الأول من الإسلام– حاجتهم إلى الشعر العربي والاستعانة به في تفسير الألفاظ، والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم، فأقبلوا يرونه ويحفظونه وفي ذلك قال ابن العباس: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي نزله الله، رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه."(٢)

بدايات جمع اللغة واستنباط القواعد:

وقد كانت بدايات جمع اللغة العربية تتمثل في الرحيل إلى البادية وأخذ العلم عن العرب أو الأعراب القانطين بها، وربما كان السبب الرئيسي الذي جعل العرب يرحلون إلي البادية هو سلامة لغة أهلها وبعدها عن التأثر باللغات المجاورة، فقد كانت عادة اللغويين الرحيل إلى البادية لمشافهة الأعراب والأخذ عنهم مباشرةً، فكان دافعهم الأساسي لذلك هو الحصول على مادة لغوية سليمة لازيف فيها ولا تضليل، وقد كان رحيلهم إلى أعماق البوادي كنجد والحجاز، وتهامة لسلامة اللغة لديهم وبعدهم عن أسباب فساد اللغة من اختلاط بالأمم الأخرى فلم تفسدها الحضارة وظلت محتفظة بينابيع لغتهم بعيدة عن اللغو واللحن. وتسرب الفساد إلى لغة الكثير من العرب وبدأ يسمع اللحن في التخاطب، قليلًا في الأول ثم أخذ في الانتشار حتى لفت إليه الأنظار،

ولعل هذا هو الدافع الرئيسي الذي دعا النحاة واللغويين بالعودة إلى البادية لجمع واستنباط القواعد اللغوية، ولم ينشأ اللحن في اللغة فجأة، بل كانت له بوادر عدة.

ظهور النحاة:" وانتشار اللحن على هذه الشاكلة هو الذي دفع لظهور اللغويين والنحاة منذ القرن الأول للهجرة، فقد أخذت تتجرد جماعة من العلماء وخاصةً في البصرة لتنقية العربية مما دخلها من فساد، وكان بعض هؤلاء العلماء يتعرض لفصحاء الشعراء ينتقدهم نقدًا نحويًا، حتى لو اضطرتهم إلى ذلك القافية.

المبحث الأول

نبذة عن مدرسة الكوفة:

اختلف في اسم الكوفة فقيل إنه لم يكن معروفًا قبل التحرير العربي، قال بن سيدة: "الكوفة بلد سميت بذلك لأن سعدًا لما أراد أن يبني الكوفة ارتاده لهم، وقال لهم: تكوفوا في هذا المكان، أي اجتمعوا فيه.

وقد نشأ النحو الكوفي نشأته في معظم الأمصار الإسلامية بعد نشوء العلوم الدينية وانتشارها على أيدي علماء القرآن وقراءاته، وقد اهتمت الكوفة منذ تأسيسها بالعلوم الدينية، وكان إلى جانب هذا الاهتمام الواسع بالقرآن وإقرائه وعلومه بالتشريع اهتمامًا من نوع آخر، اهتمام باللغة العربية من منثور ومنظوم فاختصت بذلك جماعة من العلماء الذين عنوا بالخروج إلى البوادي لجمع اللغة وتدوينها، والسماع عن الأعراب والشعراء والخطباء الوافدين إلى المربد في المواسم، وقد تكونت من هؤلاء طائفة من الرواة واللغويين اشتهروا في البصرة ...، وشاركت الكوفة بنوع آخر من الرواية اللغوية، تلك هي رواية الشعر والاهتمام به نظرًا لما اختصت به من وجود القبائل العربية المتمسكة بالعصبية القبلية والتي كانت تمثل الطبقة العليا في المجتمع الكوفي .[٣]

***الفراء مكانته العلمية وكتابه معاني القرآن:** هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الدّيلميّ، مولى بني منقر[٤]. وقيل الدّيلميّ الكوفي مولى بني أسد[٥]. وقيل أبو زياد الأقطع حيث قطعت يده في الحرب مع الحسين بن علي، وكان مولى لأبي ثروان، وأبي ثروان مولى بني عبس [٦].

كان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة، وقد لقب بالفراء لأنه كان من طلاقة لسانه وغزارة علمه يفري الكلام فريًا، فلا يتلعثم ولا تلكّؤ، فكان يفري الكلام فريًا، أي يحسن تقطيعه ويجعل الناس تعجب من فصاحته.[٧]

مكانته العلمية: لم يختلف أيًا من العلماء القدماء أو الحدثين على مكانة الفراء العلمية الراسخة، فقد أجمعوا على ما له من علم واسع والذي لم يكن فقط في العربية بل امتد إلى جوانب أخرى فقيل أنه " عنى منذ نشأته في الكوفة والبصرة بالوقوف على ثقافات عصره الدينية والعربية والكلامية والفلسفية والعلمية "[٨] وقيل أنه كان متكلامًا يميل إلى الإعتزال وإن كان تفسلف في تصانيفه.[٩]

أما في العربية وعلومها " فقد تعمقه ميل شديد لإتقان العربية والعناية بالقرآن وقراءاته وتفسيره"، وقد كان له ما أراد حتى حكي عن ابن العباس ثعلب أنه قال:" لولا الفراء ما كانت عربية، لأنه خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب."[١٠]

كتابه معاني القرآن : عرض الفراء مادته في كتابه على ترتيب المصحف الشريف بداية مع سورة الفاتحة فالبقرة وآل عمران ومرورًا بسور القرآن الكريم كاملًا منتهيًا بصورة الناس، غير أن اللافت للنظر وجود اختلاف في بعض مسميات السور عن المصحف الموجود بين أيدينا الآن فنراه يطلق اسم براءة على سورة التوبة، كما أنه

لم يفسر آيات السور كاملة بل يعرض للمشكل فيها، فإن نظرنا على سبيل المثال لتفسيره لسورة الفاتحة نجده لم يفسر سوى ثلاث آيات فقط.

وقد بنى الفراء كتابه على التفسير ولكنه كان قد حشا تفسيره بكثير من التفسيرات اللغوية ليشرح غريب القرآن، وبكثير من الآراء النحوية على المذهب الكوفي، لإعراب ما يشكل إعرابه من آياته، موضحًا آراءه بكثير من النقول عن العرب بسماعه هو ممن وثق به من فصحاء الأعراب أوبروايته عن الكسائي، أو بحكايته عن يونس أحيانًا، ومستشهدًا لأقواله في إعراب الآيات بكثير من القراءات، وشواهد الشعر التي صحت روايتها.(١١)

الاحتجاج عصوره ومصادره:

مفهومه: الاحتجاج لغةً: جاء في اللسان: الحجة: البرهان، وقيل الحجة ما دفع به الخصم (١٢)، فالاحتجاج: هو إقامة الحجة.(١٣)

الاحتجاج في الأصطلاح : إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب بدليل نقلي صح سنده إلي عربي فصيح سليم السليقة.(١٤)

وفيه يقول السيوطي : "وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظمًا ونثرًا، عن مسلم أو كافر". (١٥)

شروطه: أجمع العلماء على ضرورة جمع المادة من العرب الموثوق في فصاحتهم وابتعادهم عن الأخذ عمن سكنوا الحضر والقبائل المجاورة ، وكذلك الابتعاد عمن اختلطوا بغير الخلص من العرب والمولدين ، وبناًء على هذا فقد قسم الفصحاء وفق مقايس عديدة منها (الزمان ، والمكان ، والحال).

أولاً: مقياس الزمان: حدد العلماء والنحاة زمنًا معينًا للاحتجاج بدافع الحرص على سلامة اللغة " روى عن الأصمعي أنه قال: ساقة الشعراء: ابن ميادة (الرماح بن أبرد) وإبراهيم بن هرمة، ورؤبة بن العجاج وحكم الحضري (الحكم بن معمر بن قنبر)، ومكين العذري وقد رأيتهم جميعًا.

والمقصود بساقة الشعر الشعراء: خاتمتهم في الاحتجاج بشعرهم فقد وقف عصرالاحتجاج عند منتصف القرن الثاني الهجري." (١٦)

ثانيًا: المقياس المكاني: فقد أجمعوا على الرحيل إلى البادية والأخذ من أهلها، لثقتهم في بعدهم عن أسباب اللغط واللحن، فاختلفت درجات القبائل لديهم على حسب قرب هذه القبائل وبعدها عن الحضر، والأمم الحضارية المجاورة، فاعتمدوا على لغة قبائل قلب الجزيرة العربية وأفصح العرب عندهم قريش وقد صنف الفارابي القبائل في الاحتجاج فذكر " أن أفصح العرب قريش ويليهم قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يأخذوا عن غيرهم واستثنوا قبائل تغلب، والنمر، ولخم، وجذام، قضاعة، غسان، وإياد، وبكر، وعبد قيس، أزد عمان".(١٧)

ثالثًا: مقياس الحال: ويعني هذا المقياس تحري الدقة في حالة المروي عنهم فقد آثر العلماء الأخذ عن العرب الذين لم يرتحلوا إلى الحضر والذين لم يختلطوا بأهلها، فالتنعم بالحضارة أحد أسباب فساد اللغة لديهم.

مصادر الاحتجاج عند القدماء من العرب:

أولًا: القرآن الكريم وقراءاته: كان أول وأهم مصدر أثبته العلماء لجمع مادتهم العلمية والاحتجاج به هو "القرآن الكريم" لما به من ثراء لغوي في مادته وتهتم البحوث العربية بقراءات القرآن المطرد منها والشاذ، وقد ذكر العديد من العلماء حديث إن القرآن قد نزل على سبعة أحرف مختلفين في تفسيره.

يعلق السيوطي على هذا الاختلاف: الأمر أن العلماء في هذا الحديث على نحو أربعين قولًا ينسب لأصحابها اجتهادهم وهي مجرد استنتاجات، وهم في اختلافهم يتفقون على أنه وليس المقصود أن يكون الحرف يقرأ على سبعة أوجه؛ إذ لايوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة، نحو "أفٍ، وأَرجِه، وهَيهَات، وهِيتَ" وكذلك لايراد بهم القراء السبعة المشهورين[١٨] وهم:

١- عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي.

٢- عبد الله بن كثير المكي.

٣- عاصم بن أبي النجود الكوفي.

٤- أبو عمرو بن علاء البصري.

٥- حمزة بن حبيب الكوفي.

٦- نافع بن أبي نعيم المدني.

٧- علي بن حمزة الكسائي الكوفي.

ويقول د/ طه حسين عن القراءات القرآنية: " إن القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها كافر، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها للناس أن يجادلوا فيها، وأن ينكروا بعضها، وأن يقبلوا بعضها."[١٩]

وإن كنت لا أقبل بهذا الرأي فالقراءات القرآنية تتصل بالقرآن الكريم اتصالًا وثيقًا، وقد أقرها رسول الله – صلى الله وعليه وسلم – وأصحابه من بعده، فلا يمكننا جعلها من باب الاجتهاد ودليل على ذلك ما وضعه العلماء من قواعد للحكم على صحة القراءات فإن كانت من الاجتهاد فما حكمنا على قراءة بالشاذة أو رد أحد اللغويين بعض القراءات ومنعوا الاستشهاد بها، وإن كنت اتفق معه أن الحكم على منكر القراءة بالحكم هو حكم جائر.

ثانيًا: الحديث النبوي الشريف: أن بعض اللغويين والنحاة أمثال الفراء والكسائي لم يستشهدوا بالحديث، ورفضوا الأخذ منه لأنه روي عن طريق المشافهة وروي بالمعنى لا بالنص، وقال آخرون إن الحديث لا يحتوي على فحش الألفاظ التي كانت موجودة في لغة العرب قبل الإسلام.

ولعل السبب الحقيقي في بعد النحويين الأوائل عن الاستشهاد بالحديث إيثارهم البعد عن مواطن تزل فيها الأقدام، بعد شيوع الوضع في الحديث في العصور الإسلامية الأولى، وكثرة اتهام الناس لبعض بهذا الوضع .[٢٠]

ثالثًا: الشعر العربي: يمكننا القول بأن النحويين وعلماء اللغه قد وضعوا مقاييسًا لصحة الاحتجاج منها المقياس الزمني، وبناًء على هذا قام اللغويين بتقسيم الشعراء إلى طبقات خاضعة للترتيب الزمني، وقاموا بتأليف العديد من الكتب في هذا الصدد سميت بكتب الطبقات، ومن أشهرها كتاب طبقات بن سلام الجمحي؛ وطبقات الشعراء بناًء على هذا التقسيم جاءت في أربعة أقسام هي: (طبقة الجاهليين، طبقة المخضرمين، طبقة الإسلاميين، طبقة المولدين المحدثين)

وفي هذا الصدد يقول د/ شوقي ضيف:" وما نصل إلى العصر العباسي حتى يضع اللغويين خطًا فاصلًا بين الشعر القديم الجاهلي والإسلامي والشعر العباسي الحديث الذي سموه شعر المولدين وهو خط فصلوا به فصلًا تامًا بين الشعر الفصيح الذي يمكن الاستشهاد به في اللغة والشعر الذي لايعتد به في هذا الاستشهاد، وقد اعتدوا بشعر الجاهلين والحضرمين دون استثناء، أما شعر الأمويين فأخرجوا منه نفرًا من العرب أمثال الطرماح والكميت متخذين النشأة في الحضر مقياسًا لمعرفة المشوب والمصفى."[٢١]

المبحث الثاني

معايير احتجاج الفراء بمصادر الاحتجاج:

وفي بحثنا هذا سوف نقوم بتناول كتاب معاني الفراء من خلال ثلاثة من المعايير الأكثر شهرة " السماع، والقياس، والإجماع . "

أولًا: السماع: مفهومه:

السماع لغة: من السمع وهو حِسُّ الأذن [٢٢]، وقد أطلق بعض العلماء علي السماع مصطلح النقل، والنقل في اللغة: تحويل الشيء من موضع إلى آخر، نقله ينقله نقلًا فانتقل، والتنقل التجول.[٢٣]

وقد عرف السيوطي "وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه، وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظمًا ونثرًا، عن مسلم أو كافر. فهذه ثلاثة أنواع، لابد في كل منها من الثبوت."[٢٤]

السماع عند الفراء: كان الفراء يتوسع مثل أستاذه الكسائي في الرواية عن الأعراب المتحضرين، وإن كنا نلاحظ أنه إنما كان يتتبع فصحاءهم، أمثال أبي ثروان وأبي الجراح. وتدل كثرة ما رواه عن العرب وقبائلهم أنه كانت له رحلة واسعة إلى الجزيرة، إذ يكثر في كتابه معاني القرآن النقل عن أعراب البادية إذ يقول: "وسمعت العرب تقول" أو يقول: "أنشدني بعض بني أسد أو بعض بني كلاب أو بعض بني ربيعة أو بعض بني عامر أو بعض بني حنيفة" إلى غير ذلك من قبائل كثيرة، وأكثر أيضًا من الرواية عن المفضل الضبي. أما الكسائي فله الحظ الأوفر من الأشعار التي استشهد بها في معاني القرآن. وقلما يذكر اسم الشاعر الجاهلي والإسلامي الذي ينشد من شعره؛ اكتفاء بأن ذلك كان معروفًا متداولًا بين علماء اللغة والنحو في عصره.

وكثيرًا ما يتوارد مع سيبويه فيما ينشد من أشعار، مما يدل على أنه كان يضع كتابه نصب عينه وبصره.

ثانيًا: القياس: مفهومه:

عرفه السيوطي:" هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه. وهو معظم أدلة النحو، والمعول في غالب مسائله عليه، كما قيل: إنما النحو قياس يتبع ولهذا قيل في حده: إنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب."[٢٥]

وللقياس مفهومان: أولهما: مفهوم استقرائي: والمقصود به اطراد الظاهرة في الكلام أو النصوص، بحيث يتخذ من هذه الظاهرة وأمثالها قواعد يقاس عليها في الاستعمال، وما يخالف تلك القواعد يعد شاذًا لايقاس عليه.

ثانيهما: يمكن أن نطلق عليه قياس العلة: وفيه يقدر للفرح بحكم الأصل، أو حمل الفرع على أصل بعلة أو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، أو اعتبار الشيء بشيء جامع، وهذا القياس هو الذي بني عليه النحو، فمن أنكره فقد أنكر النحو؛ لكون النحو علة كله قياس.[٢٦]

ومن هنا فقد برز لنا ما أطلق عليه العلماء القياس النحوي وهو: " الأحكام النحوية التي تصدق على النصوص اللغوية الواردة بطريقة واحدة أخذت منها القاعدة ثم تعميم تلك القاعدة على النصوص التي لم ترد ."[٢٧]

القياس عند الفراء: برع الفراء في القياس واستنباط القواعد اللغوية بصورة كبيرة ساعده في ذلك ثقافته الكلامية الفلسفية " كانت قدرته على الاستنباط والتحليل والتركيب واستخراج القواعد والأقيسة والتحليل للآراء، وترتيب مقدماتها لا تقرن إليها قدرة أستاذه، وقد تحول بها إلى تنظيم واسع لما

تركه من أسس بانيًا عليه من اجتهاده ما أعطى النحو الكوفي صورته النهائية، وهي صورة تقوم على الخلاف مع نحاة البصرة في كثير من الأصول، مع النفوذ إلى مصطلحات جديدة والخلاف مع الخليل وسيبويه في تحليل بعض الكلمات والأدوات وفي كثير من العوامل والمعمولات، ومع مد القياس وبسطه ليشمل كثيراً من اللغات، والإبقاء مع ذلك على فكرة الشذوذ ومخالفة القياس حتى في القراءات".(٢٨)

فقد وقف الفراء في كتابه معاني القرآن من القياس موقف الاتساع حيث وصل به الحال في امتداد قياسه إلى أحكام لم ترد في القران الكريم أو على ألسنة العرب، ونضرب بعض الأمثلة لما بسط فيه القياس، معتمدًا على القرآن وقراءاته وأشعار الشعراء. فمن ذلك أنه جوز إذا اجتمع شرط وقسم وتقدم القسم أن يكون الجواب للشرط، والبصريون يوجبون أن يكون الجواب للأول، ويتضح الخلاف في مثل: "لئن قمت أقوم معك"، فالبصريون يحتِّمون أن تكون أقوم جوابا للقسم لوجود اللام الموطئة المؤذنة به وبذلك تكون مرفوعة، ويجوز الفراء أن تكون جوابًا للشرط، فيقال: "لئن قمت أقم معك" بجزم المضارع في الجواب. وجوز في الآية الكريمة: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ}(٢٩) أن يكون كل من الحرفين: اللام ومن وُضع في مكان صاحبه، على طريقة القلب المكاني، وقال: إن ذلك طريقة معروفة للعرب في تعبيرهم، واستشهد له بقول بعض الشعراء:

إِنَّ سِرَاجـــاً لكَرِيم مَفخَرُه ... تَحلَى بِه العَينُ إِذَا مَا تَجهَرُه(٣٠)

قائلا: "العين لا تحلى، إنما يحلى بها سراج؛ لأنك تقول: حليتَ بعيني، ولا تقول: حليت عيني بك إلا في الشعر"(٣١).

ثالثًا: الإجماع: مفهومه:

ويعد هذا الأصل ثمرة واضحة لتأثير أصول النحو بأصول الفقه ، مثلما كان الحال في القياس. والإجماع عند النحاة يعني إجماع أهل العربية على أن هذا الحكم كذا كإجماعهم على أن تقدير الحركات في المقصور: التعذر، وفي المنقوص الاستفعال. ويعد الإجماع عند النحاة مصطلح متأخر قد برز مع ظهور النحو، ولم يستخدم بهذا اللفظ صراحة إلا متأخرًا .

ويعد ابن جني من أوائل القدماء الذين انتبهوا إلى هذا الأصل فيقول: " أعلم أن إجماع أهل البلدين إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص عليه والمقيس على المنصوص، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه."[٣٢]

ونستنتج من قول ابن جني أن الإجماع بني أساسًا على اتفاق الحكم بين ما ورد فيه نص ولم يرد فيه؛ ولذلك اشترط أن يكون المجمع عليه موافقًا للمنقول وما قيس .

الجماع عند الفراء: والإجماع عند الفراع على أنواع أربعة هي: **الإجماع الحقيقي:** وهو أغلب أدلة الفراء ، فعندما يحتكم إلى العرب لإثبات حكم ما، يعبر عن ذلك بقوله: "العرب تقول "، " كذلك كلام العرب "، وهي عبارات عبارات درج الفراء ومن سبقه أو من جاء بعده من اللغويين والنحاة على استعمالها [٣٣]. ومن أمثلة ذلك قوله في لفظ أدنى: " من الدنو، ويقال من الدناءة، والعرب تقول: إنه لدنى (ولا يهمزون) يدني في الأمور أي يتتبع خسيسها وأصاغرها .[٣٤]

الإجماع الجزئي أو السكوتي: وهو اتفاق لم يصدر عن العرب قاضبة، وإنما عن أغلبيتهم أو أكثرهم ومن أمثلة ذلك قوله في كلمة (تترى) فيقول: " ترك العرب تنوينها لأنها نزلت بمنزلة (تقوى) .[٣٥]

إجماع بين الحقيقي والجزئي: كثيرًا ما يشير الفراء إلى بعض الظواهر اللغوية التي لم تحرز على الإجماع الكامل من لدن العرب وفي الوقت نفسه فإن الخروج عن هذا الإجماع قليل ونادر، لذا تراه يستعمل عبارة لاتكاد العرب، قلما، أو قد التي للتقليل. يصرح الفراء بأن الفعل" شكر " لاتكاد العرب تجعله متعديًا بنفسه إنما الأصل فيه يتعدى بحرف الجر اللام، فقليلا ما تقول العرب"شكرتك" أو" نصحتك"، وإنما الكثير أن تقول "شكرت لك" أو "نصحت لك" (٣٦)

ظواهر لغوية شاذة: وهي التي خرجت عن الإجماع بل إن الفراء نفاها نفيًا تامًا وأنكر استعمال العرب لها. اسم العلم "يسع" الأصل فيه أن لا يحلى بالألف واللام، مثل٣هـ مثل: يعمر ويزيد يقول الفراء: "إن العرب لا تدخل على" يفعل "إذا كان في معنى فلات ألفًا ولامًا، يقولون: هذا يسع، وهذا يعمر وهذا يزيد، فهكذا الفصيح من الكلام." (٣٧)

الخاتمة

ولعلي من خلال هذا البحث أكون قد استطعت تقديم رأي الفراء وموقفه من الاحتجاج ومصادره سواء كانت القراءات القرآنية أو كلام بعض العرب، فكما سبق وأن أشرت نراه قد يخطئهم. وقد يرد بعض ما سمعه منهم مؤمنًا بأنه شاذ لا يقاس عليه ولا يصح طرده في العربية.

ومن هنا يسعني القول أن ما تناقلته بعض الكتابات من أن البصرة كانت تخطئ العرب بينما كانت الكوفة تقبل كل ما يروى عنهم، حتى لربما بنت على الشاهد الواحد ليس بقاعدة صحيحة. وهي على الرغم من توسعها في القياس على نحو ما رأيناه عند الفراء أحيانا لتقعيده على شاهد واحد سمعه. ولكن ليس معنى هذا أنها كانت تصنع ذلك بكل الشواهد، فقد نراها تتكاثر الشواهد أحيانا، وترفض القاعدة والقياس أحياناً أخرى على نحو مارأيناه من رفض الفراء ورده لبعض القراءات وكلام العرب في العديد من المواضع في كتابه معاني القرآن. أم ما يقال عنها من أنها تعتد بالقراءات على اختلافها والشاذ منها، بينما كانت البصرة كثيرًا ما تعدل عن هذا الاعتداد، فلم يكن بالقاعدة الثابتة عند الفراء، بل يعد خطأ كبيرًا، فنحن لم نرى سيبويه أو الخليل قد ردَّا قراءة من القراءات من قبل، كما نرى الأخفش قد احتج لبعض القراءات التي يظن أنها مخالة لقياس النحو البصري.

الهوامش

(١) أثـر القـرآن الكـريم فـي اللغـة العربيـة، أحمـد حسـن البـاقوري، دار المعـارف، ط: الثانيـة. ص: ١١– ١٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط : أولى، ج :٢، ص: ٦٧٨.

(٣) المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ط: الثالثة، دار الأمل . اربد . الأردن، ص: ١١٧: ١١٩.

(٤) الفهرست، ج: ٢، ص: ٧٣ وما بعدها.

(٥) وفيات الأعيان ج: ٢ ص: ٣٠١.

(٦) النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، ورجاله، صلاح الراوي، ص٣٩٧.

(٧) اللسان: حرف الفاء، مادة فرا.

(٨) المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص: ١٩٣.

(٩) مدرسة الكوفة، د/ مهدي المخزومي، ص: ١٣٠.

(١٠) المدارس النحوية، ص: ١٩٣.

(١١) نزهة الالباب، ص: ٩٩.

(١٢) مدرسة الكوفة، ص : ١٢٥: ١٣٠.

(١٣) اللسان، ابن منظور، مادة (حجج)، ص:٥٣.

(١٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط: ثانية، ص: ١٥٦.

(١٥) في أصول النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر – دمشق، ط: ثالثة ١٩٦٤م، ص: ٢٦٠.

(١٦) الإقتراح في أصول النحو، السيوطي، ص: ١٤.

(١٧) نوادرالأعراب، د/ أحمد عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:أولى – ٢٠٠٧، ص:٤٩

(١٨) في أصول النحو، الأفغاني، ص: ٣٩.

(١٩) السبعة في القراءات، ص: ٥٣ وما بعدها.

(٢٠) اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، د/ نادية رمضان النجار، دار الوفاء، ص: ١٥٣.

(٢١) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، ص: ١٧٦.

(٢٢) اللسان، بن منظور، مادة سمع، ج : ٧، ص: ٢٢٥.

(٢٣) نفسه، ج ١٤، مادة نقل، ص: ٣٤٤.

(٢٤) لاقتراح في أصول النحو، السيوطي، ص : ٢٤.

(٢٥) اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، ص: ١٥٥

(٢٦) الأقتراح، السيوطي، ص: ٩٤.

(٢٧) أصول النحو، محمد عيد، ص: ٩٥.

(٢٨) المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص: ١٩٦.

(٢٩) البقرة، ٢١٣.

(٣٠) البيت للنابغة االجعدي، الخزانة ج: ٤، ص: ٣٢.

(٣١) معاني القرآن، الفراء، ج١، ص: ١٣١.

(٣٢) الخصائص، ابن جني، ج: ١، ص: ٢١٦.

(٣٣) أصول اللغة عند الأخفش والفراء، أحمد الشايب، رسالة دكتوراة في علوم اللسان العربي الجمهورية الجزائرية، جامعة محمد خضير، كلية الآداب، ٢٠١٣ /٢٠١٤، ص ١٥١.

(٣٤) معاني القرآن للفراء، ج: ١، ص: ٤٢.

(٣٥) أصول اللغة عند الأخفش والفراء، ص: ١٥١.

(٣٦) السابق نفسه، ص: ١٥١.

(٣٧) أصول اللغة عند الأخفش والفراء، ص: ١٥٢.

المصادر والمراجع

١- الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ضبطه: عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، ط: الثانية.

٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ط: أولى، ج :٢، ص: ٦٧٨.

٣- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، ط : الثانية.

٤- الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف، ط: أولى.

٥- أصول اللغة عند الأخفش والفراء، أحمد الشايب، رسالة دكتوراة في علوم اللسان العربي الجمهورية الجزائرية، جامعة محمد خضير، كلية الآداب، ٢٠١٣ /٢٠١٤، ص ١٥١ تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط : أولى.

٦- الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الرابعة، القاهرة.

٧- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، دار الفكر، د. ط.

٨- العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط : الحادي عشرة.

٩- الفهرست، لابن النديم المتوفي (٣٨٥هـ) قدم له: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ج: ٢.

١٠- في أصول النحو، الأفغاني، د.ط، د، ت.

١١- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، د/ نادية رمضان النجار، دار الوفاء، د.ط، د.ت.

١٢- المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ط: الثالثة، دار الأمل، اربد، الأردن.

١٣- المدارس النحوية، د/ شوقي ضيف، دار المعارف، ط: السابعة.

١٤- مدرسة الكوفة، د/ مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ط: الثانية، ١٩٥٨، القاهرة.

١٥- معاني القرآن، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء ثلاثة.

١٦- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط: ثانية.

١٧- النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، ورجاله، صلاح الراوي، دار المعارف.

١٨- نزهة الألباب، في طبقات النحاة، كمال الدين الأنباري ج: ٣.

١٩- نوادر الإعراب، د/ أحمد عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: أولى – ٢٠٠٧.

٢٠-وفيات الأعيان ج: ٢ ص: ٣٠١.